الدرس الثاني: مفهوم السياق في السيّاق الغربي

أوّلا: مفهوم التداولية

التداولية من العلوم اللغوية الحديثة التي انبثقت من الاتصال بين اللغة والفلسفة، وهي تتصل بالظواهر الاجتماعية والنفسية والبيولوجية، والسيميائية، وتتداخل مع اللغة في الدلالة وعلم اللغة الاجتماعي، وعلم اللغة النفسي وتحليل الخطاب... والتداولية بحقيقتها تسعى إلى ضبط العملية التلفظية من حيث الفعل التواصلي الذي يتحقق في موقف سياقي في الفضاء الثقافي والاجتماعي الذي يشكل النص، حيث تطور علم اللغة النصي معتمدا على التداولية وشروط الفهم اللغوي الاجتماعي، وترتكز التداولية إلى نظرية الفعل الكلامي .

فالتداولية: علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال؛ وتهتم بدراسة ظاهرة التواصل اللغوي وتفسيره، **فالحديث عن التداولية** وعن شبكتها المفاهيمية يقتضي الإشارة إلى العلاقات القائمة بينها وبين الحقول المختلفة؛ لأنها تضم مستويات متداخلة،كالبنية اللغوية، وقواعد التخاطب، والاستدلالات التداولية، والعمليات الذهنية المتحكمة في الإنتاج والفهم اللغوي، وعلاقة البنية اللغوية بظروف الاستعمال. فهي تمثل حلقة وصل مهمة بين حقول معرفية عديدة، منها: **الفلسفة التحليلية ممثلة في فلسفة اللغة العادية**، ومنها **علم النفس المعرفي** ممثلا في **نظرية الملاءمة***، ومنها **علوم التواصل**، و **اللسانيات.** وعلى الرغم من اختلاف وجهات النظر بين الدارسين في**"التداولية" فإن معظمهم يقرون بأن قضية التداولية هي إيجاد القوانين الكلية للاستعمال اللغوي، والتعرف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي، وتصير التداولية من ثم جديرة بأن تسمى: "علم الاستعمال اللغوي".**[1]

ثانيا: مفهوم التداولية في الدراسات الغربية

1-**مفهوم التداولية عند شال سندرس بيرس:** نشأت التداولية في بدايتها عند شارل ساندرس بيرس **Charles Senders Peirce**، حيث ارتبطت عنده التداولية بالمنطق ثم بالسيموطيقا ودرس الدليل وعلل إدراكه بواسطة التفاعل الذي يحدث بين الذوات والنشاط السيميائي،[2]واهتم بالإشارة وبحث عن الطرق التي بواسطتها يتم الاتصال بين الأفراد، وجعلها نظرية لأن اللسانيات المتداولة تفترض الدراسة التركيبية والدراسة الدلالية[3].

2-مفهوم التداولية عند تشالز موريس

جعل التداولية جزءا من السيميائية عند تمييزه لثلاثة فروع،: وهي[4]،علم التراكيب، وعلم الدلالة والتداولية، وأشار إلى علاقة العلامة بمستعملها وطريقة توظيفها وأثرها في المتلقين، وإلى علاقة الرموز بمؤوّليها، ونظر إليها نظرة سلوكية، ورأى أن التداولية تتناول الجوانب الحيوية للسيميوتية، أي جميع الظواهر النفسية والبيولوجية والاجتماعية التي تحدث عند قيام الرموز بوظائفها[5] ،والذي يشتمل على علم اللغة النفسي، ،وعلم اللغة الاجتماعي[6].

3-**مفهوم التداولية عند موريس فينجنشتاين**

رأى أن كل لفظة لها معنى معين، ولكل جملة معنى في سياق محدد، فالكلمة والجملة تكسب معناها عبر استخداماتها، فالمعنى عنده هو الاستعمال، وجعل الاستعمال هو الذي يبث الحياة في اللغة، وجعل التواصل هدفا[7]،وهو بذلك عبَّر عن مفهوم التداولية بمعنى جديد وهو إضافة الفلسفة والمنطق إليها.

4-**مفهوم التداولية عند أوستين**

وفي مرحلة اكتمالها عند أوستين الذي توصل إلى التمييز بين ثلاثة أنواع من **الأفعال اللغوية** وهي[8]:

أ-الأفعال الإخبارية الإنجازية وهي مجموعة الأفعال التي توظف في إطار عملية التواصل،

ب- الأفعال الإنشائية: وهي مجموعة الأفعال اللغوية التي لا تخبر بشيء محدد التي تدخل ضمن المستوى الجمالي والبلاغي.

ج- **الأفعال التي لا تنتمي إلى الإخبار أو الإنشاء** وهي التي تشمل كل الأفعال التي يلجأ إليها المرسل والمتلقي لاستمرار التواصل وجلب انتباه السامع، كما ميز أفعالاً ثلاثة ترتبط بالقول **وهي: فعل القول، والفعل المتضمن في القول، والفعل الناتج عن القول، أو الفعل بواسطة القول.**

5-مفهوم التداولية عند سيرل

جاء سيرل الذي طوّر شروط الملاءمة وجعلها في أربعة، وهي[9]،:

-**شرط المحتوى القضوي:** وهو الذي يقتضي فعلاً في المستقبل يُطلبُ من المخاطب كفعل الوعد.

الشرط التمهيدي: وهو يتحقق إذا كان المخاطَب قادرا على إنجاز الفعل، والمتكلم على يقين بالقدرة؛ - **شرط الإخلاص** :يتحقق عندما يكون المتكلم مخلصا في أداء الفعل، فلا يقول غير ما يقصد، ولا يزعم أنه قادر على فعل ما لا يستطيع.

-الشرط الأساسي: يتحقق عبر محاولة المتكلم التأثير في السامع للقيام بالفعل وإنجازه حقاً، وقد قسم سيرل الأفعال الكلامية إلى أنواع، وهي: الأفعال المباشرة، والأفعال غير المباشرة وفيها ينتقل المعنى الحقيقي إلى معنىً مجازي.

6-مفهوم التداولية عند جرايس

وضع جرايس مبدأ حواري بين المتكلم والمخاطب أسماه مبدأ التعاون إذ يسهم في النشاط الكلامي لدى المتخاطبين واستمراريته، ولذلك فإن كل طرف من الخطاب يعترف لنفسه وللآخر في التناوب على الكلام، ولعل انعدام التفاهم بين المتخاطبين مرجعه غياب ذلك الاعتراف المتبادل منذ البداية، وهو أول من أثرى هذه المسألة من الوجهة التداولية فيما يسمى: **الاستلزام الحواري، إذ يعتبر أن أي حمولة دلالية ما، تحمل معنيين؛ معنى حرفي ومعنى مضمر.**

ثالثا-عناصر التداولية عند اللغويين الغربيين

1-**الإحالة:** هي ظاهرة معروفة عند علماء العرب،ويعبر عنها بمصطلحات، وهي: الربط بالضمير،)والربط بالحرف أو الأداة، ...وكان لكثرة التوسع في استعماله في علم اللغة النصي أن صار مصطلحاً جديداً، ودرج اللغويون المحدثون على استخدامه وهي **عملية تعاونية** نسبة لمبدأ التعاون كما حدده جرايس، لأنها تستهدف تمكين المخاطب من التعرف على الذات المقصودة، ويتم ذلك عن طريق إمداد المخاطب بكل المعلومات التي يمتلكها المتكلم عن الذات المقصود. **وعناصر الإحالة تتكون الإحالة** من المحيل، والمحال إليه، وتنقسم إلى نوعين: إحالة داخل النص أو (**داخل اللغة**) وتسمى النصية، وإحالة خارج النص أو (**خارج اللغة**) وتسمى مقامية أو قولية.

والإحالة داخل النص تنقسم إلى: **إحالة على السابق** أو **إحالة بالعودة وتسمى (قبلية)** وهي تعود على مفسر سبق التلفظ به، وهي أكثر الأنواع دوراناً في الكلام. وإحالة على اللاحق وتسمى (**بعدية**) وهي تعود على عنصر إشاري مذكور بعدها في النص ولاحق عليها. وتتفرع وسائل التماس الإحالية إلى الضمائر وأسماء الإشارة والموصول، وأدوات المقارنة، مثل التشبيه، وكلمات المقارنة، مثل أكثر وأقل.

2-**الاقتضاء:** وهي ظاهرة كلية، حيث إن كل ملفوظ يفرض شروطا معينة سابقة لتحقيقه، لأنه ينطوي على مجموعة من الاقتضاءات، وهي توجد مسجلة فيه بكيفية لا تقبل النقاش، ولا أحد يستطيع الاعتراض عليها سواء كان متكلما أم مخاطباً. وقد أمكن للبحث اللساني أن يطورنظريته للاقتضاء في ثلاثة مستويات، هي: **مستوى دلالي:** ويعالج فيه الاقتضاء بوصفها معلومة تأخذ من الملفوظ، أي هي عنصر من عناصره

الدلالية،مثال: الكتاب على الطاولة" يقتضي أن الكتاب موجود فعلاً على الطاولة.**ومستوى وظيفي:** يحدد فيه دور الاقتضاء فيتنظيم الخطاب، فإذا كانت للاقتضاء وظيفة فإنها لتحقيق ملاءمة الخطاب، **ومستوى تداولي:** ويتعلق الأمر فيه بتحديد الاقتضاءات في العلاقات بين المتخاطبين، وكذا في التفاعلات التي ينبني عليها التخاطب.مثال: هل يمكنني أن أطلب منك أن تفعل لي معروفاً؟ يقتضي أن المتكلم يطلب من المخاطب فعل شيء ما. "أنا آسف" يقتضي أن المتكلم يعتذر عن شيء ما. "شكراً لك" يقتضي أن المتكلم يشكر المخاطب على شيء ما

3-الأفعال الكلامية:

يقصد بالأفعال الكلامية هو كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، ويُعد نشاطاً مادياً نحوياً يتوسل أفعالاً قولية لتحقيق أغراض إنجازية (كالطلب والأمر والوعد والوعيد...إلخ)، وغايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي (كالرفض والقبول)، ومن ثم فهو فعل يطمح إلى أن يكون فعلاً تأثيرياً، أي يطمح أن يكون ذا تأثير في المخاطب، اجتماعياً أو مؤسساتياً، ومن ثم إنجاز شيء

الهوامش

***نظرية الملاءمة**: هي نظرية تداولية معرفية طورها دان سبربر وديك ولسون في كتابهما "الملاءمة: التواصل والإدراك" (1986). تستند النظرية إلى فكرة أن المتكلم والمخاطب يسعيان إلى تحقيق أعلى مستوى من الملاءمة في عملية التواصل. يُعرَّف الملاءمة بأنه "مقدار المعلومات التي يمكن للمتلقي استخلاصها من خطاب المتكلم، بافتراض أن المتكلم يسعى إلى تحقيق أعلى مستوى من الملاءمة". يعتقد سبربر وولسون أن المتكلم والمخاطب يستخدمان مجموعة من المبادئ الإدراكية لفهم المعنى الكامن وراء الكلام. تتضمن هذه المبادئ ما يلي:

مبدأ التعاون: يتوقع المخاطب أن يتعاون المتكلم في تحقيق أهداف التواصل.

مبدأ الاقتصاد العقلي: يتوقع المخاطب أن يستخدم المتكلم أقل قدر ممكن من المعلومات لتوصيل المعنى.

مبدأ الانسجام: يتوقع المخاطب أن يكون الخطاب متناسقًا مع المعرفة المشتركة بين المتكلم والمخاطب.

1. ينظر: صحراوي مسعود، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي؛ط1، دار الطليعة، بيروت ، 2005م، ص16.

2. انظر، فرانسواز، أرمينكو، المقاربة التداولية، ترجمة، سعيد علوش، بيروت،مركز الإنماء القومي، د.ت، ص95.

3- انظر، خليل، حامد، المنطق البراغماتي عند تشارلز بيرس "مؤسس البراغماتية"، مصر، دار الينابيع، لاط، 1996، ص214.

4. انظر، بوقرة، نعمان، المدارس اللسانية المعاصرة، القاهرة، مكتبة الآداب، ط1، 2004م، ص198. و(السيموطيقا) لفظ يوناني من كلمة (السيميولوجيا)، وتعني، العلامة، ويُعرف بأنه علم يدرس العلامة ومنظوماتها (أي اللغات الطبيعية

والاصطناعية)، كما يدرس الخصائص التي تمتاز بها علاقة العلامة بمدلولاتها، أي تدرس علاقات العلامات والقواعد التي تربطها أيضاً.

5- تستمد هذه السيمياء إلى سياق فلسفي تفسيري مستوحي من "نظرية المقولات" وهي ذات مفاهيم ومصطلحات مخصوصة ومبتكرة تدرس العناصر البارزة على مستوى الفكر لكي تميز طبقاتها وتصنفها ضمن مقولات عامة. والعنصر البارز، هو كل شيء حاضر في الذهن، بأية طريقة وبأي معنى كان الشيء، ودون اعتبار لكون هذا الشيء يتطابق مع شيء معين في الواقع أم لا، فالبارز إذن هو "فكرة".

6 انظر، سعدالله محمد سالم، مملكة النص، التحليل السيميائي للنقد البلاغي، الجرجاني نموذجا، عمان، الأردن، عالم الكتب الحديث، ط1، 2007م، ص14؛ وبولنوار سعد، مقالة، التداولية منهج لساني واستراتيجية لتحليل الخطاب، أبريل، 2007، الموقع الإلكتروني، منتديات المعهد العربي للبحوث والدراسات الأدبية.

7. انظر، نحلة محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ط1، 2006م، ص9.

8. - انظر، فرانسواز، أرمينكو، المقاربة التداولية، ترجمة، سعيد علوش، بيروت، مركز الإنماء القزمي، د. ت، ص12.

9- انظر، الخطيب، أحمد شفيق، قراءات في علم اللغة، عمان، دار الفكر، ط1، 1991، ص125- ص127.